

الطباعة والصحافة

يقاس ارتفاع الامم ونسبتها بعضها الى بعض في سلم العمران الحاضر بامور شتى بعضها من مقومات هذا العمران وبعضها من لوازمه التي لا يستغني عنها كاستعمال الحديد والبخار والكهربائية وكثرة العامل والمتاجر والمدارس . ومن ذلك المطابع والصحائف او الطباعة والصحافة فانهما من اول الادلة على درجة الارتفاع التي يالتها البلدان في سلم العمران لان ارتفاعهما كان علة للتقدم في العلوم والننون الى حذر لا مثيل له في تاريخ الامم الغابرة ولا نظير له في قرع آخر من اعمال الانسان . وهو معول لهذا التقدم كما انه علة له .

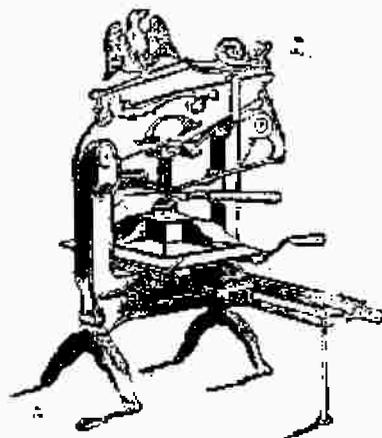
منذ مئة سنة كانت الصحافة في اوربا واسطة للتولية كما كانت عندنا منذ عشر سنوات او كما لا تزال الآن على الغالب ولم تكن حرفة قائمة بنفسها بل كان المرء يعاطاها مع غيرها . اما الآن فقد اصبحت صحف الاخبار تاريخاً للعالم تكتب فيها حوادثه يوماً فيوماً وصارت من اكبر الوسائل لتثوير العامة وتهذيبهم وميداناً يبارى فيه الكتبة الميلاخه وكابر العلماء .

وقد صدرت الصحيفة الاولى من صحف الاخبار الاوربية في المانيا منذ اربعة قرون وكانت في اول صدورها اعلانات تشر في الاماكن العمومية كابواب الكنائس والمخاض . واخذت حكومة البندقية بالمانيا سنة ١٥٦٦ فكانت تعاقب الاخبار في بعض الاماكن وثقافي رسماً على قراءتها وكان الرسم قطعة من النقود تسمى غازنة فاطلق هذا الاسم على الصحيفة نفسها وهو اسم صحف الاخبار حتى الآن في اكثر اللغات الاوربية .

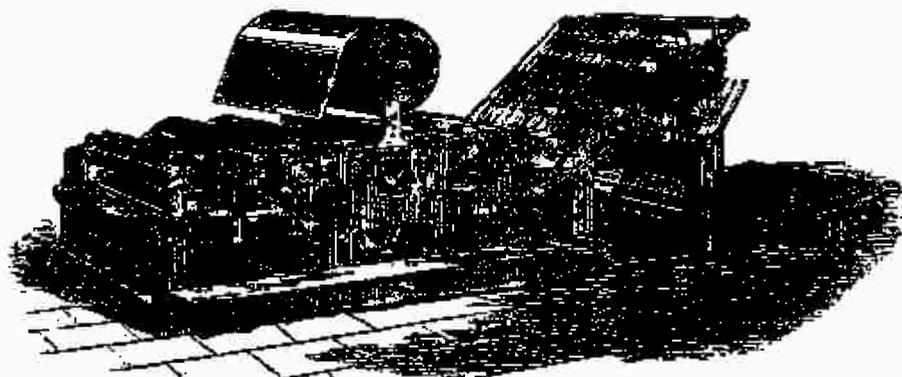
وجرت مدن اوربا هذا المجرى فصارت تشر اخبارها في اوراق تملقها في الاماكن العمومية . ثم لما اتقنت الطباعة وسهل طبع نسخ كثيرة في وقت قصير صارت هذه المنشورات تطبع طباعاً وحينئذ قام البعض وجعلوا يجمعون الاخبار ويطبعونها ويرسلون نسخاً مما يطبعونه الى اصداقائهم بدل تملقها في الاماكن العمومية فاقبل الناس عليها اقبالاً عظيماً .

وكانت الطباعة تسير في سلم الانتفاخ سيرها بطيئاً لما لقيته من مقاومة الذين حسبوها واسطة لامداد الفساد ونشر الشرور وامانة النساخ جوعاً لكن المقاومة لا تمنع انتشار شيء تدعو الحاجة الي انتشاره فانشرت الطباعة في المانيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا وذلك في اواسط القرن السادس عشر وكانت تجد اعداءها في المرصاد حينما انتشرت فلم يقو النعا على اقلها كما اتقنوا غيرها من الخترعات في ذلك الوقت وبقيت آلة الطباعة على شكل واحد حتى اواسط القرن

السامع عشراي بقيت آلة بسيطة توضع فيه الحروف وتختبر باليد ويوضع الورق عليها وينضغط عليه ضغطاً كما ترى في مطبعة كوشيا المرسومة في الشكل الاول وكان استنابها سنة ١٨٤٧ وهي اول اختراعات الاميركية في فن الطباعة، ووثقت على هذه الحال لهجرت عن الوفاء بحاجة الناس في هذه الايام

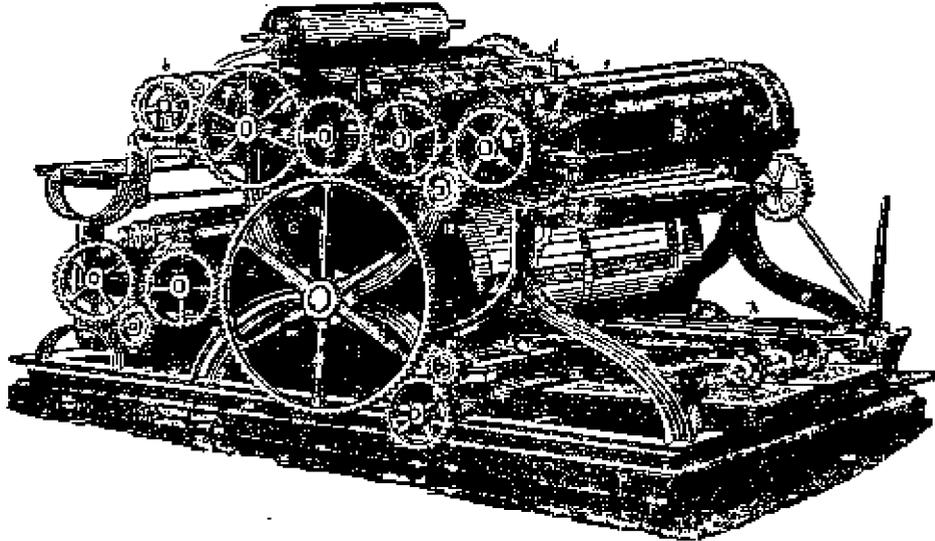


وكن الاختراع ابن الحاجة فلما دعت العلوم وكثر طلب الناس للكتب والنصح وجد المخترعون الى تكثيرها سبيلاً بالتصميم آلة الطباعة بعد ان كانت تطبع مئة نسخة صغيرة في الساعة سارت تطبع الوراق من الشح طبعاً متقناً جداً ثم زادت سرعتها كثيراً حتى استخدم التجار لادائها ذلك الجبار الذي دانت به صعاب الامور وذلك عندهم جوى الطبيعة



ياول ما استخدم التجار في الطباعة كان في طبع جريدة التمس سنة ١٨١٤ ومن ثم وجه الناس عنايتهم الى اصلاح آلات الطباعة فوصلوا الى حد لا يتصدقه شرقي لانه لم يزم مثله في

السرعة ولا رأى شيئاً يديفر من مطابع الشائعة في أنقظر نظري واقطار الشبي تصح الآلة منها في الساعة الف نسخة واثني او ثلاثة آلاف او اربعة على الاكثر لكن الاوربيين والاميركيين صنعوا آلات يطبع بها ستة وتسعون الف نسخة في الساعة من جريدة فيها ثمانى صفحات - او يطبع بها ثمانية واربعون الف نسخة من جريدة فيها اربع وعشرون صفحة تطابعها بثلاثة الزان من الخبر وتخرج كل نسخة منها مطوية ومندوفة ومتمرة . وهي شبه شيء يجار عظيم مركب من اعضاء تشدبده تتحرك وتدور بسرعة تفوق الوصف واحكام يدهش العقول كأن لما عقلا يديرها بل لو كان لها عقل ما كانت اعلمها اكثر انقائاً منها الآن



ويوضع الورق في هذه الآلات لفات سطوية كبيرة كما ترى في الشكل الثاني والثالث في كل لفة ورقة طويلاً لوسط ميلان الى اربعة ايمال وكما نعد الورق من لفة وضعت مكانها لفة أخرى وألصق طرف ورقها بطرف الورق من اللفة السابقة كأنها وشيعة الحائك التي يلف عليها خيوط الفضة . وليس الغزيرة في ذلك بل في ان هذا الورق يسير من نفسه تحت حروف الطباعة ويطبع بها بسرعة تفوق الوصف يطبع منه الف وستة نسخة في الدقيقة الواحدة او نحو ٢٧ نسخة كل ثانية من الزمان فتنهال نسخ الجريدة منها كأنها الماء من الشلال . وهذه غاية ما بانته الطباعة من السرعة والانقان

وقد ارتقت الصحافة بارتقاء الطباعة وصار لها شأن عظيم في كل البلدان الدستورية وكلمة نافذة في سياستها . وهذا القول يصدق بنوع خاص على البلاد الانكليزية والاميركية

لان الجرائد الكبيرة فيها مداهب حررة وهي تعتمد على ما اصبح حاكماً مطلقاً في بلاد الحرية والدستور وهو الزواي العام المستير الذي يعرف ما ينفع البلاد وما يضرها فاذا اتجهت الى جهة جرت الحكومه معه كما انها آله في يدو لقضاء ما يريد.

ولقد بعثت الى المتعلم برسالة عن الصحافة في البلاد الانكليزية وصفت فيها ما رأيت به في تلك البلاد من المطابع والجرائد ولا سيما مطبعة الداهلي ميل أكثر الجرائد الانكليزية انتشاراً وادارتها من اشهر ادارات الجرائد وفيها احثت الآلات والمخترعات وأكثرها اقتناءً واسرعها حركة . وطبع الداهلي مايل لا يتعدى قبل الساعة العاشرة مساء فتطبع كلها ليلاً و يسدر منها في الصباح أكثر من مليون نسخة . ويعلم ان آلة الطبع الواحدة لا تطبع هذا العدد العديد في بضع ساعات ولذلك ترتب الحروف بالآلات خاصة بذلك ويصب عليها مادة تجمد حالاً وتصبح كالتقالب ثم يصب معدن الحروف على هذه المادة فتكون منه صور مثل الصور الاصلية المؤلفة من الحروف فتوضع كل صورة منها في مطبعة خاصة وتدار هذه المطابع معاً في وقت واحد حتى تستطيع كتابا ان تطبع العدد المطلوب في بضع ساعات

وكان يباع من جريدة الداهلي مايل ما كنت في البلاد الانكليزية في الصيف الماضي ستة الف نسخة كل يوم ثم زاد عدد ما يباع منها زيادة بالغة بسبب مسألة دريفوس وحرب الترنفال وهو الآن أكثر من مليون نسخة . ولا يبعد ان تكون زيادة المبيع بسبب هذه الحرب مئتين واربعين الف نسخة في اليوم تباع بجمع مئة جنيه فاذا فرضنا ثمن ورقها وطبعها مئتي جنيه ونقعات سكاتي الحرب ونفراقاتها مئة جنيه في اليوم بقي لصاحب الجريدة متاجيه كل يوم من زيادة المبيع وقت الحرب

ولجرائد الانكليزية مكاتبون منشرون في اقطار المكونة بذهيون الى سيادين القتال ويفررون في الصحارى والقفار لكي يجمعوا الاخبار والنوادر ويحشوا بها اليها وكثيراً ما يكون لها اسلاك خاصة من الشراف تاتيها بالاخبار من اقاصي البلدان وخطوط خاصة من التلغراف تنقل اليها كلام مجالس النواب

والحرري الجرائد ومكاتبها مقام رفيع في البلدان الاوربية لا يعلو عليه مقام ترى الامراء والكبراء ينتظمون في سلك المكاتبين ولا يحسبون في ذلك حطة لهم بل رفعة شأن كاحدث بالامس في تجيء السرجون سكوت الذي كانت مستشاراً قضائياً في التطر مكاتباً لجريدة التيمس وقت الاحتفال بشال ده لبس . ومقابلة الوزير في البلدان الاوربية قد تكون اسهل من مقابلة محرر الجريدة . ولكل جريدة من الجرائد الكبيرة لجنة من المحررين هذا للاخبار

الداخلية وذلك للخارجية وذلك للعربية وبعضهم لانتقاد التثليل او لانتقاد انكتب . وفي ادارتها ادارات شتى بعضها الازعالات وبعضها للطبع وبعضها للتوزيع وهلم جرا . وسرنا بمباحيا وعماد قوتها كثرة القراء وهي آتية من كثرة المتعلمين في مدينة لندن وحدها نحو ستة ملايين من النفوس وكل بالغ منهم يعرف القراءة والكتابة وكلهم يقرأون الجرائد رجالاً ونساء . وقد لا يقل عددهم عن ثلاثة ملايين من النفوس . ففيها من قراء الجرائد أكثر مما سيف فارقي اسيا وافريقية واضعاف قراء الجرائد باللغة العربية في كل اقطار المسكونة . ونس ذلك مدينة باريس ونيويورك وشيكاغو فلا عجب اذا صارت الجرائد من اقوى القوى السياسية والاجتماعية . وقد حدث ذلك كله في الربع الاخير من القرن التاسع عشر

نجيب معروف

التعليم المفيد

لما كنا نكتب المقالة التي موضوعها « الفاضل فاضل ولو عبداً اسود » المدرجة في الجزء الماضي من المقتطف عن المستر يوكرو وشنتون الذي ولد عبداً وطالب العلم وهو لا يملك شروى تقير ثم انشأ مدرسة جامعة للعلوم والفنون يتعلم فيها الف طالب من اولاد الزنوج فيخرجون منها قادرين على الاكتساب ومجارية البيض في وسط بلاد الخلد والاجتهاد والعلم والعرفان في الولايات المتحدة الاميركية — لما كنا نخط سطور تلك المقالة كان يوكرو وشنتون هذا يخط مقالة اخرى في موضوعها تماماً . فقد ورد علينا جزء يناير من مجلة السنشري الاميركية الشهرية التي يكتب فيها مشاهير الكتاب الاميركيين رأينا فيه مقالة مسية من قلم موضوعها « دلائل النجاح بين السود » فاستقرنا هذا الاتفاق وزدنا اكراماً للرجل واعتزازاً بفضل واحمدنا الخاطر الذي خطر لنا لما عثرنا مقالنا عنه « الفاضل فاضل ولو عبداً اسود » . وما نحن لخص بسض ما اورده في مقالته عسى ان يكون مثالا للذين يتوخون منا السعي في نفع غيرهم ولا يمشون السبل المؤذري الى ذلك . قال في التمهيد الذي مهده لمقالته

« ان من المسائل الكبيرة عندنا مسألة تعليم ثمانية ملايين من السود سكان الولايات الجنوبية من اميركا وتهذيبهم وجعلهم مثل غيرهم من السكان . وقد اتسع نطاق هذه المسألة الآن لانه صار عليا ان نعلم نحو ثمانمائة الف نس من السود سكان كوبا وبورتوريكو فضلاً عما يجب من تعليم البيض سكان تينك الجزيرتين لان كثيرين منهم في حالة يرثى لها مثل